ذخائر العرب
١٠

المُغرِب في حُلَى المغرب

١

حققه وعلق عليه
الدكتور شوقي ضيف

الطبعة الرابعة

دار المعارف

المُغرب في حُلَى المغرب

الناشر : دار المعارف - ١١١٩ كورنيش النيل - القاهرة ج.م.ع.

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة الطبعة الثانية

عرضتُ فى هذه الطبعة مرة ثانية نصوصَ هذا القسم الأندلسى من كتاب «المُغْرب فى حُلَى المَغْرب» على أصوله فى النسخة المخطوطة المحفوظة بدار الكتب المصرية وما أُضِيفَ إليها من أوراق نسخة «بلصفورة» المصوَّرة ، حتى أُوفِّر له كل ما يمكننى من صحة ودقة .

وقد أوضحتُ فى مدخل الطبعة الأُولى كيف استحال نسيج هذا القسم الأَندلسى فى الكتاب أوراقًا مضطربة غير متصلة ، مع سقوط كثير من صُحفه ، حتى غَدَا كأَنه أنقاض مطموسة المعالم ، مما جعل الباحثين من المستشرقين وغير المستشرقين يَسْتيئسون من نشره . وقد مضيتُ أحاول إحياءه وردَّه إلى صورته الأَصلية بكل ما أملك من جهد ، حتى استقامت أوراقه المتناثرة المتبقية على نَهجه الذى وُضع له ورَسْمه الذى صُنِّفَ عليه ، إلا ما كان من ورقتين تحملان بعض أزجال ابن قزمان نُشِرتا فى الصفحات ٢٨١ — ٢٨٥ من السِّفْر الأول ، وقد رددتهما فى هذه الطبعة إلى موضعهما من اتصال الكلام فى تلك الأَزجال .

ونُشِرتْ بعد الطبعة الأُولى لهذا القسم من الكتاب بعض مخطوطات كنتُ قد رجعت إليها فى تعليقى على هوامشه ذاكرًا أرقام أوراقها مثل «جذوة المقتبس» للحُمَيْدى و «المُطْرب من أشعار أهل المغرب» لابن دِحْيَة و «الغصون اليانعة فى محاسن شعراء المائة السابعة» و «اختصار القِدْح المُعَلَّى فى التاريخ المحلَّى» لابن سعيد ، فرأيت أن أُثبت فى الهوامش صفحاتها فى نُسَخها المطبوعة تيسيرًا على الباحثين .

وأنا أشكر شكرًا خالصاً صادقاً كل من نوّهوا بجهدى المتواضع فى إحياء هذا الكنز الرائع النفيس من كنوز تُراثنا العربى فى الأندلس . وبذلك أصبح حقائق لا أحاديث ، وأصبح مذلّلاً لكى ينظر فيه الدارسون ويستنبطوا منه ما يعينهم على كتابة تاريخ أدبنا الأندلسى كتابة علمية دقيقة . والله ولى الهدى والتيسير .

القاهرة فى ١٥ من أبريل سنة ١٩٦٤ م .   شوقى ضيف

مقدمة الطبعة الأولى

حين نَشَرْتُ «كتابَ الردّ على النحاة» لابن مَضاء القُرْطبي اتصلت بالأندلس وآثارها اتصالا وثيقًا ، ووقفت وقوفًا دقيقًا على ما أَسْدَتْهُ فى خدمة الفكر والثقافة . ولم ألبث أن شُغِفْتُ بما أبدعَتْه من أشعار وموشحات وأزجال. ونظرت فى المخطوطات لعلى أعْثُر على كتابٍ جامعٍ من أُمَّهات كتبها الأدبية يُضِيفُ إلى الباحثين مادةً جديدة يُجَرِّبون فيها آراءهم ، ويُجْرون أبحاثهم .

واطلعتُ على مخطوطة «كتاب المُغْرب فى حُلَى المَغرب» المحفوظة فى دار الكتب المصرية ، فوجدتها نسخةً نفيسة ، لأنها بخطِّ على بن موسى بن سعيد ، آخر المؤلفين الستة الذين توارثوا الكتاب مدة مائة وخمس عشرة سنة ، واصلين فيه كَلال الليل بكلال النهار، يُنَقِّحون ويُهَذِّبون ، حتى لا يعرضوا إلا الصافىَ الخالصَ من جواهر الشعر ، وما يخطِف سَناه الأبصارَ من الموشحات والأزجال .

والكتابُ يضمُّ خمسة عشر سفرًا ، ستة منها لمصر ، وثلاثة لبلاد المغرب ، وستة للأندلس ، وهى التى أعجبتنى وبَهَرَتْنِى ، وقد وضع لها المؤلفون اسماً يجمع أطرافها هو «كتاب وَشْى الطُّرُس فى حلى جزيرة الأندلس» ولم أكد أَمْضِى فيها ، حتى اعترضتنى صعوباتٌ كثيرة ، إذ وجدتُ المخطوطة مضطربةً ومنقوصة . وما هى إلا فترة غير بعيدة حتى اكتشف معهدُ المخطوطات بالجامعة العربية مجموعة من صُحُفِ الكتاب ، وجدها فى «بلصفورة» من أعمال سوهاج ، فصوّرها . وفَحصْتُها ، فوجدتها من المخطوطة نفسها التى كتبها ابن سعيد ، انْتُزِعَتْ منها انتزاعاً .

فرجعتُ أحاول نَشْر القسم الأندلسى ، وسرعان ما عرفتُ أن السفرَ الأوّلَ منه فُقِد جميعُه ، غير أن ذلك لم يَصْرفنى عن نَشْر الأسفار الخمسة الباقية ، فقد أعدتُ لها ترتيبها ، واستقام نظامها .

وأنا أقدِّم اليوم للباحثين هذا الجزء الأول ، وهو يحتوى ثلاثةَ أسفار من النصِّ إلا قليلا ، وهى الحادى عشر والثانى عشر والثالث عشر فى التصنيف العام للكتاب . وجميعُها خاصةٌ بغرب الأندلس وممالكه وكُوَره وبلدانه . وبيمين كل بلدة كتابُها الذى ينتظم أعلامها الممتازين وخيرَ ما خلَّفوه من طرائف الشعر والموشحات والأزجال .

وما أشك فى أن هذا النص سيدفع المورخين للشعر الأندلسى دَفْعاً إلى أن يُعِيدوا النظرَ فى تاريخهم وما نشروه من أحكام فيه ، فيعدلوا فى هذه الأحكام تارة ، ويُلْغُوها ويُثْبتوا موضعها أحكاماً جديدة تارة أخرى . ومعنى ذلك أنه يحملُ كثيرًا من الحقائق الأدبيَّة التى كنا نجهلها عن الأندلسيين وحياتهم الفنية ، وما أكثرَ ما نجهله عنهم ! ومن أجل ذلك تشتدُّ الحاجة إلى أن تُنْشَر كتبهم وآثارهم . ولا يختلف اثنان فى أن ما نُشِرَ عن الأندلس لا يزال قليلا ، وأنَّ نَشْرَ أىِّ نصٍّ جديدٍ يَسُدُّ فراغاً كبيرًا لما يُذيعه من معان وخصائص أدبية ، ولما تفتقر إليه المولفاتُ والمصنفاتُ المنشورةُ من نصوصٍ أخرى تَسْنُدُها ، وتُقَوِّم ما فيها من خللٍ ونقصٍ .

وأفدتُ فوائد جمة من معارضة هذا النص على الأصول التى استمدَّ منها والفروع التى أخذتْ عنه ، وخاصة فيما صادفنى فيه من مَحْوٍ أو تآكل . ومن الوجب أن أشير هنا إلى أنه يُصْلح كثيرًا مما فسد واضطرب فى أصوله وفروعه المطبوعة ، التى فصَّلتُ الحديث عنها فى مدخله ، إذ يُصَحِّح خطأها ،

ويُدَاوى سَقَمها . ويستطيع القارئُ أن يرى ذلك منثورًا فى هوامشه التى وضعنا فيها مقابلاته على كل ما أمكننا الاطلاعُ عليه من آثار أندلسية مطبوعة أو مخطوطة .

وهذه القيمة للنص تضاف إليها قِيمٌ أخرى صَوَّرْناها فى المدخل ، وهى ترجع فى جملتها إلى أن مُصَنِّفيه استخرجوه من كل ما قرءوه عن الشعر الأندلسى أو سمعوه ، محاولين أن لا يُفَرِّطوا فيه من قطعةٍ شعرية رائعةٍ ، أو موشَّحةٍ مونقةٍ ، أو زجلٍ بديع .

ووراء المدخل نموذجان لصحيفتين : أولاهما من نسخة دار الكتب ، والثانية من نسخة بلصفورة ، وعلى الأولى عُنْوَانُ السفر الحادى عشر ، وعلى ثانيتهما عُنْوَان السفرِ الرابع عشر . وتحت العنوانين أسماءُ المولفين الستة للكتاب ، وشهادة ابن سعيد خاتمتهم بأنه كتب النسخة لخزانة كمال الدين أبى القاسم عمر بن أبى جَرَادة المشهور بابن العَدِيم .

وأعترف بأنى أنفقتُ فى هذا العمل سنوات طوالا ، وغايةُ ما أرجوه مخلصًا أن أكون قد وفِّقتُ حقًّا إلى رَفْعِ الحواجز والعوائق التى كانت تحول بين الباحثين فى الأدب الأندلسى وبين الفائدة العلمية التامة من هذا النص النفيس .

والله أسألُ أن يرزقنى السَّدَادَ فى القول ، والإخلاصَ فى الفكر والعمل ، وهو حَسْبى ونِعْمَ الوكيل .

القاهرة فى ٢٠ من مايو سنة ١٩٥٣ م .

شوقى ضيف